محاكمة بدوية أمام الأمير نورى الشعلان (*)

— السلام على الأمير

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

— أنحن بحضرة النورى بن شعلان ؟

— إى بِلله ، وأنتم من ؟

— نحن من جبل الدروز ووجهتنا الحجاز

— الله محييكم ، أنتم ولد عمنا ، كيف حال الأطرش (يريد أبا على مصطفى الأطرش)

— هو بخير ، وهذا تحرير منه لكم

— تحرير ؟ إيه أبو على والله إنك لحافظ للعهود وإيش تبغون بالحجاز ؟

— تؤدى الفريضة

— الله محييكم ، يا نواف ، يا ولدى أكرم الضيوف ، وتميدون عندنا إن شاء الله

— العفو يا زين ، وقتنا قصير ، ويلزم أن نعود بسرعة للشام

— لا لا ، تميدون رمضان عندنا ، ومن يوم للثانى قريب ، غداً عندنا قضوة (محاكمة) تجى البدو من كل ناح ، وبعد غد العيد ، وعيدكم مبارك عليكم

— علينا وعليك يالأمير

المحاكمة

المدعى — صبحكم الله بالخير ، اليوم يوم الله ، اليوم يوم الحق ، اليوم يوم اليمين ، إبشر يا مذبوح ، احلف يا ذابح ، اليوم يوم الله السلام على الأمير ، السلام على ابن شعلان ، السلام على قاضى العرب

الأمير — وعليكم السلام يا لعرب ، الله أكبر ، الله أكبر ، نقلوا حججكم (أى قدموا براهينكم)

المدعى — يا قاضي بعدل الله . جيتك جدى ، وامشى هدى ، ومصلّى على الله والنبي . ودّى (أريد) منك الحق ، والحق فوق الكل والحق من الله ، لنا بذمة هذا — وأشار إلى بدوى آخر — دم . قتل ابنى وفقدنا الشاهد ، ولزمته اليمين ، فإما برىء ، وإما قاتل ، والقاتل مقتول

الأمير — وإيش اسم غريمكم ؟

المدعى — جديع ابن سمير

الأمير — انهض يا وليدى ، ادفع عن نفسك ، أنت شاب ، وشيخ الفريق ، ولزمك الدين (اليمين) إن كنت بريئاً برّاك الله ، وإن كنت قاتلاً قتلك العدل ، احلف احلف

المتهم — والله يا نورى ، الحق من الله ، واليمين وزر ، اعفونى منها وأنا أعطى الرجل مية بعير

الأمير — قودوا العير يا لربع ، واعفوا الراجل من الدين واحجبوا دم العباد

المدعى — لا لا ، نريد اليمين حتى نعرف الصح (الصدق)

المتهم — يا لربع ، بالله وبمحمد رسول ، إنى مؤديكم ميتان بعير وجوزوا عن تحليفى وتعوضوا الله ، والدى مات مات ، ونحن أقارب وإخوان

الأمير — وإيش عندكم يا لعرب ؟ ميتان بعير تساوى ألفين جنيه . جوزوا عن الدين ، واعقدوا الراية حفار ودفان (أى سماح عن الماضى والحاضر)

— وإيش تقول يا ساير ؟ المقتول ابنك ، والله فوقك ، والخطة قدامك (يريدون بالخطة دائرة يرسمها أحدهم على الأرض ليقف المتهم داخلها ويحلف ، ويسمونها خطة سليمان بن داود)

المدعى — والله يالعرب ما أنا بائع دم ابنى بجمال ، أريد من غريمي دين فأما يكون بريئاً فأطلب حق من قاتل ولدى ، وإما يكون القاتل فأقتله بيدى ، (واليمين عندهم فريضة متى فقد الشاهد)

المتهم — يا شيخ ، جز عن تحليفى ، وخذ العير ، فأنا برىء من دم ابنك ، ولو كنت أنا القاتل لما خفت منك ، وورائى كما تعلم عرب الشرارات وأنت أخبر بالشرارات وبأسهم

المدعى — جديع ، تهددنى بالشرارات ؟ أنسيت من هم

(*) الأمير نورى الشعلان أمير قريات الملح ، والحديث بلهجة البدو

الحسن؟ ويوم اللى هزمنا كم مثل النعم الهامل، والله لا أرضى منك بغير اليمين ولو ملكتنى كل حلال الشرارات

المتهم — وإيش عليه ، أنا أحلف ، خطو الخطة ، أنا رايح أحلف ، أنا على باب الخطة ، يا عونة الله أنا رايح أحلف ، يا ساير خف الله . يا خوى وخذ البمران وجز عن تحليفى وأنا برى

المدعى — اليمين اليمين

المتهم — اشهدوا يا لعرب، اسمعوا يا لربع ، أنا بالخطة، وهذه عصاتى وهذه يمينى :

« وحق هالعود ، والرب المعبود ، وخطة سليمان بن داود ، أنا رميت والله قتل » وأنا بوجه ابن شعلان

(أى أنه هو أطلق النار ، والله قتل ، وهو بحماية النورى ابن شعلان والحماية عندهم ثلاثون يوماً فقط ، وبعدئذ إما أن يدفع جنية القتيل ، وإما أن يقتل) نجيب العمراوى

الأمية فى العالم

يؤخذ من دائرة المعارف الانجليزية الحديثة أن عدد الأميين فى مصر ٩٢ فى المائة (للصواب : ٨٢) ، وفى الهند الانجليزية ٩٢ ، وفى الصين ٨٠ ، وفى سيلان ٦٦ ، وفى غواتيمالا ٦٥ ، وفى أسبانيا ٦٣ ، وفى البرازيل ٦٠ ، وفى كولومبيا ٦٠ ، وفى البورتغال ٦٠ ، وفى شيلى ٣٩ ، وفى الأورغواى ٣٩ ، وفى الأرجنتين ٣٧ ، وفى فنزويلا ٣٧

وفى الولايات المتحدة وزيلانديا الجديدة وكندا وفرنسا واليابان واستونيا وبلجيكا يتراوح عدد الأميين بين واحد وعشرة فى المائة

أما فى سويسرا والدانمرك وألمانيا وأسوج ونروج وفنلندا وهولندا وانكلترا ، فعدد الأميين أقل من واحد فى المائة

مستعمرات فرنسا

لفرنسا من المتلكات ما تبلغ مساحته ١٢ مليون كيلو متر مربع ، تضم نحو ستين مليون نفس . فى أفريقية الشمالية : مراكش ، الجزائر ، تونس ، أفريقية الغربية ، وتشمل : السنغال ، غينة ، الشاطئ العاجى ، الدهومى ، السودان الفرنسى ، موريتانيا ، نيجر . وفى أفريقية الاستوائية : تومهاد ، أوبنغى شارى ، توغو ، كرون ، كونغو . ثم جزيرة مدغشقر والصومال الفرنسى ، وجزيرة رنيون

وفى آسيا : الهند الفرنسية وتشتمل على : بونديشارى ، شاندر ناغور ، يانون ، كاريكال ، ماهه . والهند الصينية وتشتمل على كمبودج ، أنام ، تونكين ، لوس . ثم كونتشو

وفى أمريكا : جزائر سان بيار وميكيلان ، جزائر الأنتيل غيانيا الفرنسية

وفى الأقيانوسية : جزر كالدونيا الجديدة ، جزر هبريداس الجديدة وغيرها من الجزر الصغيرة

وإذا جمعنا عدد سكان المتلكات البريطانية والفرنسية بلغ ٦٠٠ مليون نفس أى نحو ثلث سكان العالم ومساحتها أيضاً تشتمل ثلث مساحة اليابسة

فون كلوك وسقوط باريس

كان فون كلوك قائد الجيش الألمانى الذى زحف إلى باريس فى أوائل الحرب الماضية ، وكاد يدخلها لولا واقعة المارن التى قطعت أمله . وقد اطلعنا فى إحدى الصحف الفرنسية على التصريحات التى فاه بها بعد هزيمته فى تلك الواقعة التاريخية ، قال :

« أنا لم أضع خطة الزحف إلى باريس كما قيل ، إذ لم يخطر على بالى أن سقوط العاصمة الفرنسية يؤدى إلى إخضاع فرنسا وإجبارها على التسليم ، بل كنت أعتقد أن عزل فرنسا عن حلفائها هو السبيل الوحيد إلى إخضاعها ، وأن عزلها لا يتم إلا باحتلال سواحلها

كان الامبراطور غليوم يحضنا على الزحف المتواصل ، لكى نستولى على باريس ونضرب معنويات الحلفاء فى الصميم ؛ وقد أعد علم ألمانى كبير مساحته ٤٠٠ متر مربع ليرفع على برج إيفل بعد احتلال باريس، وكان الموعد المقرر لدخولها فى الثانى من سبتمبر غير أن أعجوبة ظهرت فى الجيش الفرنسى أنقذت عاصمته وأبطلت خطتنا ، فقد اكتشف طيارونا وكشافتنا أن ذلك الجيش الذى كنا نظنه ممزقاً عاجزاً عن الدفاع قد أعيد تنظيمه بسرعة غريبة واستعاد عزيمته ووقف مكانه وقفة المستقتل الذى يؤثر الموت على التراجع

ما كنا نتوقع قط أن رجالاً يتقهقرون أمامنا عشرة أيام متواصلة يتحولون بين يوم وآخر إلى جلاميد لا تزحزح عن أماكنها . تلك هى المعجزة التى لم يرو مثلها التاريخ الحربى ! »

من ذكريات الحرب الماضية — وادٍ فرنسا قديم

كتب مسيو بوانكاريه فى مذكراته اليومية بتاريخ ١٣ أغسطس ١٩١٤ ما يلى : « عرفت اليوم من الجرائد أن مدافع الألمان ما برحت منذ صباح أمس تضرب بون آمسون. ويظهر أن وزير الحربية يجهل ذلك . وقد ألححت عليه أن ينبّه باسمه واسمى أركان الحرب إلى إهمالها »

وكتب بتاريخ ١٦ أغسطس : « ما أزال بين الشك والقلق والانتظار فلا أعرف عن الحركات الحربية فى جبهة القتال إلا النزر اليسير مما ينقله إلىّ الضباط . ولما أشير علىّ بزيارة خطوط النار استشرت وزير الحربية فاستصوب فكرتى، ولكنه رأى من واجبه أن يستشير أولاً أركان الجيش العليا التى لم تر زيارتى فى الحالة الحاضرة مناسبة فعدلت عنها ممتثلاً . وأرانى كأحد أولئك الملوك الكسالى الذين يقضون أيامهم فى الخمول والدعة فالجيش اليوم هو صاحب الكلمة العليا ولا مندوحة لى عن السكوت والامتثال »

وفى تلك الأثناء جاء كليمنسو رئيس الجمهورية وشكا إليه أن أركان الجيش تخفى اندحار الجيوش الفرنسية وتذيع انتصارا وهميا ، وأبلغه أن الألمان أسروا طابوراً فرنسياً بأسره ونكلوا بآخر . فقال بوانكاريه إنه يجهل كل ذلك ، لأن أركان الجيش لا تمده بشيء مما يجرى فى ميادين القتال ، ثم قال : «لقد طالبت مراراً فما كنت أجاب إلا بالسكوت »

وكان موقف فرنسا يزداد حرجا بين يوم وآخر ، فالألمان فى بلجيكا كانوا يتقدمون بسرعة ، والإنكليز تراجعوا حتى قالنسيان موبوج ، والجنرال جوفر أمر جيوشه بالانسحاب . وفى ذلك يقول بوانكاريه فى يومياته : « أردت وأنا بعيد عن خطوط القتال أن أسعى إلى « الاتحاد المقدّس » بتأليف وزارة جديدة فصدمتنى المنازع الشخصية والمشاكسات السياسية . إن فيفيانى (رئيس الوزارة يومئذ) محاط بجيوش من المطامع ، وقد ذكرلى فى جملة المرشحين للوزارة الجديدة بعض أسماء يستحيل قبولها لأنها تدعو إلى الخجل . عاد إلىّ ميلران وصرّح بأنه لا يقبل وزارة الحربية إلا إذا خوّل حق الاتصال مباشرة بالجيش المحارب »

وأراد أوغانجر وزير البحرية أن يحمل مسيمى على الاستقالة من وزارة الحربية ، فتظاهر بالإشفاق على صحته قائلاً له بلهجة تجمع بين الجد والدعابة : « إن دلائل الجهد ظاهرة عليك ، فأنصح لك نصيحة طبيب أن تترك مهمتك الشاقة التماساً للراحة ، وإلا اعترتك السوداء » . فوقع هذا الكلام فى نفس الجنرال مسيمى موقع الرضى ، فاستقال من منصبه ، وذهب إلى ساحة القتال يقود أحد الجيوش

وذكر بوانكاريه أيضاً فى يومياته : « طالب المسيو بريان بوزارة العدل ، فتخلى له عنها المسيو بينفينى مارتان مثال الوداعة والإخلاص . وطالب دلكاسه ، وهو أكثر تعنتاً من بريان بوزارة الخارجية ؛ وقد أسمعنى الكلام التالى : « إن لاسمى تأثيراً كبيراً لا يستطيع أحد إنكاره . لقد طالما سفهوا سياستى التى رمت إلى تطويق ألمانيا، ولكنها انتصرت أخيراً . فأنا الذى أوجد الاتفاق مع انكلترا ، وأنا الذى عقد المحالفة مع روسيا . ولا شك أن العالم يتوقع أن يرانى فى كى دورسى » . إن لدلكاسه خدمات وطنية جليلة لا تنكر ، وكان خليقاً به ألا يذكرها فى ذلك الموقف الحرج الذي كان يتطلب التضحية قبل كل شيء . ولكنه أبى إلا وزارة الخارجية التى كان يديرها بمهارة فائقة المسيو غاستون دومرغ الفرنسى الصادق . وشاء ڤيڤيانى إزاء تصلب دلكاسه أن يتنزل له عن رياسة الوزارة ، فقال له دومرغ :

— ابقَ فى مركزك

فأجاب فيفيانى :

— إنى أتخلى بملء إرادتى لدلكاسه عن مركزى. ولا بأس أن يعزى ذلك إلى عدم كفايتى؛ فى الحالة الحاضرة لا يهمنى نوع الخدمة ولا مجالها »

وقد أثر فىّ كلام فيفيانى كثيراً إذ دل فيه على شخصية كبيرة وإخلاص وطنى بالغ فلم أتمالك أن صافحته معجباً مهنئاً

أطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتابه
الإسلام الصحيح
من مكتبة الرغائب شارع الفجالة بالقاهرة
ومن المكتبات العربية المشهورة